عنوان البحث:

منهج القرآن الكريم في استشراف المستقبل

اسم الباحث/ـة

أ.د/ عبد التواب محمد محمد أحمد عثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد.

لا شك أن التطلع إلى المستقبل ومعرفة أحداثه ووقائعه للتهيؤ لها والاستعداد لمواجهتها فطرة مركوزة في الطباع الإنسانية، وعلى حين يلجأ كثير من الناس إلى محاولة معرفة الغيب بطرق محرمة، يلجأ البعض إلى محاولة إيجاد طرق علمية يتوقعون بها شيئا من أحداث المستقبل عن طريق علم المستقبليات، أو استشراف المستقبل.

ولا بد للأمة من قراءة ماضيها وحاضرها لتنطلق لمعرفة مستقبلها بناء على قراءاتها، والطريق الوحيد اليقيني والموثوق لاستشراف المستقبل لا يكون إلا عن طريق الوحي.

ويهدف هذا البحث إلى بيان أن استشراف المستقبل إذا كان مستندا على القرآن الكريم فإنه يتمتع بكامل المصداقية والثبات والشمول باعتبار مصدره الإلهي، ولا شك أن التخطيط للمستقبل بناء على نص رباني يؤهل الأمة للقيام بدورها الريادي في قيادة البشرية وصناعة المستقبل.

ولهذا كانت هذه الدراسة بعنوان: (منهج القرآن الكريم في استشراف المستقبل).

ولقد دفعني إلى كتابة هذا البحث:

١- افتقار العالم الإسلامي إلى مراكز وأبحاث تعتني بدراسة المستقبل، ووضع التصورات والخطط التي يستطيع بها أن يواجه الأحداث، ويسهم بها في صناعة القرار، رغم توفر هذا العلم في العالم الغربي وانتشاره والاعتماد عليه.

٢- تبني بعض أبناء جلدتنا مفهوم علم المستقبليات بوجهة النظر الغربية التي تعتمد على حركة التاريخ دون اعتماد على عقيدة أو استقراء لسنن الله الكونية.

٣- أن القرآن الكريم يتضمن كثيرا من الأصول التي يمكن من خلالها التأصيل لهذا العلم من وجهة نظر إسلامية.

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة ومطالب أربعة وخاتمة:

أما المقدمة فتتناول أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث.

المطلب الأول: مفهوم استشراف المستقبل.

المطلب الثاني: مشروعية استشراف المستقبل في الإسلام.

المطلب الثالث: ضوابط استشراف المستقبل في الإسلام.

المطلب الرابع: نماذج قرآنية من استشراف المستقبل.

ولا شك أن هذا البيان هداية للمسلم في التعامل مع نصوص القرآن الكريم التي تعنى بالمستقبل وأحداثه ووقائعه، فيسير منضبطا بضوابط الوحي.

المطلب الأول

مفهوم استشراف المستقبل:

– معنى الاستشراف لغة: الشين والراء والفاء أصل يدل على علو وارتفاع، والشرف: الحسب بالآباء، والشرف: أعلى الشيء، ومشارف الأرض: أعاليها، والمشرف: المكان تشرف عليه وتعلوه، وأشرف الشيء: علا وارتفع، والشرفة: ما يوضع على أعالي القصور والمدن، وفي حديث ابن عباس: أمرنا أن نبني المدائن شرفا والمساجد جما[١]، وتشرف الشيء واستشرفه: وضع يده على حاجبه كالذي يستظل من الشمس حتى يبصره ويستبينه، وفي حديث الفتن: من تشرف لها استشرفت له[٢]، أي من تطلع إليها وتعرض لها، والتشرف للشيء: التطلع والنظر إليه وحديث النفس وتوقعه[٣].

– الاستشراف اصطلاحاً:

اجتهاد علمي منظم يرمي إلى صياغة مجموعة من التنبؤات المشروطة تشمل المعالم الرئيسية لأوضاع مجتمع أو مجتمعات عبر فترة عقدين أو أكثر"[٤].

– **معنى المستقبل:** أصل المستقبل من القبل، ضد الدبر، والقابلة: الليلة المقبلة، وقبالة الشيء: تجاهه، والاستقبال بمعنى الإقبال والمحاذاة بالوجه، وهو ضد الاستدبار[٥]، والمستقبل اصطلاحا: ما يترقب وجوده بعد زمانك الذي أنت فيه، يسمى به لأن الزمان يستقبله[٦].

وعلم المستقبل: علم التكهن بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المستقبل، ويستند في دراستها على الاستقراء والاستنباط بجمع الوقائع الفردية المتعددة ليستخلص منها المبادئ العامة التي تحكمها، ويخرج بعد ذلك بالصور التي سيكون عليها المجتمع في الأجيال المقبلة"[٧].

---

(١) السنن الكبرى: البيهقي، كتاب "الصلاة"، باب "في كيفية بناء المساجد"، رقم "٤٣٠٣"، ومصنف ابن أبي شيبة: كتاب "الصلوات"، باب "في زينة المساجد وما جاء فيها"، رقم "٣١٥١".

(٢) متفق عليه: البخاري: كتاب "الفتن"، باب "تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم"، رقم "٧٠٨١"، ومسلم: كتاب "الفتن وأشراط الساعة"، باب "زول الفتن كمواقع القطر"، رقم "٢٨٨٦".

(٣) ينظر: لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، مادة (شرف)، ١٦٩/٩ وما بعدها، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ، و معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مادة (شرف)، ٢٦٣/٣، دار الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

(٤) دراسة المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة، د أحمد صدقي الدجاني، مجلة المسلم المعاصر، مجلد ١٦، عدد ٦٢، ص ١١٧، يناير ١٩٩٢م.

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، مادة (قبل) ٢٠٦/٣٠، دار الهداية.

(٦) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، ص ٢١٣، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ١٩٨٣م.

(٧) موسوعة البحث العلمي، د عبد الفتاح مراد، ص ٦٦٣، جمهورية مصر العربية– الإسكندرية، ١٩٩٩م.

معنى استشراف المستقبل:

- **النظر إلى الزمن القادم** ببصر حديد ونظر ثاقب، بغية تصور الواقع المقبل، انطلاقاً من شرفة الحاضر، واستيعاباً لعبر الواقع الراحل(١).

فالمقصود باستشراف المستقبل رؤية المستقبل بمنظار الماضي والحاضر، فهو ينظر إلى الماضي والحاضر بعين النقد من أجل رسم صورة أفضل للمستقبل، وتقديم فرضيات بشأن المستقبل أقرب ما تكون إلى الواقع.

- **وعرفه بعضهم بأنه:** العلم الخاصّ بالتنبّؤ بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المستقبل، ويستند في دراستها إلى الاستقراء والاستنباط بجمع الوقائع المتعددة ليستخلص منها المبادئ التي تحكمها ويخرج بعد ذاك بالصور التي سيكون عليها المجتمع في الأجيال القادمة(٢).

المطلب الثاني

مشروعية استشراف المستقبل في الإسلام

اهتم الإسلام بالمستقبل اهتماما بالغا، ذلك أن الأصل في المسلم أن ينتظر جزاء مستقبليا عند الله تعالى يوم القيامة، وأن يستعد لهذا اليوم بالأعمال الصالحة، وأمر القرآن الكريم المؤمنين بالتفكر والنظر والتدبر في أرجاء الكون ماضيه وحاضره للاستفادة منه في المستقبل، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾[الحج:٤٦].

وكل قصص السابقين في القرآن الكريم إنما يقصد بها التدبر في مصائر الأمم، والاعتبار بأخبار السابقين، لأن السنن الربانية التي جرت على السابقين ستجري على اللاحقين، ﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[الحشر:٢].

وباب سد الذرائع من أبواب مصادر التشريع الإسلامي قائم على استشراف المستقبل وأحداثه، لأن معنى سد الذرائع: حسم مادة وسائل الفساد دفعا لها إذا كان الفعل السالم من المفسدة وسيلة إلى مفسدة(٣).ومن ذلك ما ورد في الحديث عن عائشة ﵂: أن النبي ﷺ قال لها: "يا عائشة، لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت، فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين، بابا شرقيا، وبابا غربيا، فبلغت به أساس إبراهيم"(٤).

---

(١) الدراسات المستقبلية في عالم المسلمين دراسة نقدية من منظور السنن، د سيف الدين عبد الفتاح، ص٣٧٥، (الأمة في قرن ٢٠٠٠-٢٠٠١ الكتاب السادس)، مكتبة الشروق الدولية.

(٢) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د أحمد زكي بدوي، ص ١٧١.

(٣) الفروق "أنوار البروق في أنواء الفروق"، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت: ٦٨٤هـ)، ٣٢/٢، عالم الكتب، بدون تاريخ.

(٤) متفق عليه: البخاري: كتاب "الحج"، باب "فضل مكة وبنيانها"، رقم "١٥٨٦" واللفظ له، ومسلم: كتاب "الحج"، باب "نقض الكعبة وبنيانها"، رقم "١٣٣٣".

وهذا أمر –توقع النبي ﷺ لما سيحدث من قومه– من أمور الغيب التي لا يمكن الجزم بتحققها، وإنما هو اجتهاد مبني على دراسة المستقبل بناء على العادة الجارية من أحوال قومه.

ومما يؤصل لمشروعية استشراف المستقبل ما ورد من أخبار عن النبي ﷺ تتحدث عن وقائع تحدث من أشراط الساعة، وفيها يأمر النبي ﷺ المسلمين بأعمال معينة وتكليفات خاصة بهذه الأحداث، من ذلك: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا"(١).

ومن ذلك أيضا ما أرشد إليه النبي ﷺ عن طريقة التعامل زمن خروج الدجال، لما سئل عن وقت لبثه في الأرض، "..... قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: "أربعون يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم" قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: "لا، اقدروا له قدره.."(٢).

وقد استشرف النبي ﷺ مستقبل قومه فأبى أن يدعو عليهم لما كذبوه وآذوه، ".... فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا"(٣).

ومنه أيضا ما ورد أن عبد الله بن أبي، فقال: فعلوها، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي ﷺ فقام عمر فقال: يا رسول الله: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: "دعه، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه"(٤).

فهذا استشراف من النبي ﷺ بما سيؤول إليه قتل المنافقين من انتشار خبر يُذهب الطمأنينة عمن يريد الدخول في الإسلام لشيوع أن محمدا ﷺ يقتل أصحابه، فنهي النبي ﷺ عن ذلك توقيا لهذا الذي قد يحدث في المستقبل.

ومما يستدل به على مشروعية استشراف المستقبل ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتحت بلاد السواد لم يقسم الأراضي بين الفاتحين؛ لأن ذلك يفضي –في رأيه– إلى بقاء الأراضي في أيدي قلة من

---

(١) متفق عليه: البخاري: كتاب "الفتن"، باب "خروج النار"، رقم "٧١١٩" واللفظ له، ومسلم: كتاب "الفتن وأشراط الساعة"، باب "لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب"، رقم "٢٨٩٤".

(٢) مسلم: كتاب "الفتن وأشراط الساعة"، باب "ذكر الدجال وصفته وما معه"، رقم "٢٩٣٧".

(٣) متفق عليه: البخاري: كتاب "بدء الخلق"، باب "إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه"، رقم "٣٢٣١" واللفظ له، ومسلم: كتاب "الجهاد والسير"، باب "ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين"، رقم "١٧٩٥".

(٤) متفق عليه: البخاري: كتاب "تفسير القرآن"، باب " قوله: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ "، رقم "٤٩٠٥"، ومسلم: كتاب "البر والصلة والآداب"، باب "نصر الأخ ظالما أو مظلوما"، رقم "٢٥٨٤".

المسلمين، على حين تفرغ أيادي الباقين من الأراضي، وكذلك لا يبقى شيء للأجيال القادمة، فاجتهد وجعل على هذه الأرض الخراج رعاية لحق المسلمين.

عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: قال عمر ﷺ: "لولا آخر المسلمين، ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها، كما قسم النبي ﷺ خيبر"(١).

وعن إبراهيم التيمي، قال: لما فتح المسلمون السواد قالوا لعمر: اقسمه بيننا، فإنا افتتحناه عنوة، قال: فأبى، وقال: فما لمن جاء بعدكم من المسلمين؟ وأخاف إن قسمته أن تفاسدوا بينكم في المياه، قال: فأقر أهل السواد في أرضيهم، وضرب على رءوسهم الجزية(٢).

وفي رواية أخرى: قدم عمر الجابية، فأراد قسم الأرض بين المسلمين، فقال له معاذ: والله إذن ليكونن ما تكره، إنك إن قسمتها صار الريع العظيم في أيدي القوم، ثم يبيدون، فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة، ثم يأتي من بعدهم قوم يسدون من الإسلام مسدا، وهم لا يجدون شيئا، فانظر أمرا يسع أولهم وآخرهم(٣).

وقد طبق الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان ﷺ استشراف المستقبل لما كان يسأل النبي ﷺ عن الشر، من باب الاستعداد وأخذ الحذر والحيطة وتدبير المواجهة، عن حذيفة بن اليمان ﷺ، قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني..."(٤).

ومن ذلك أن الصحابة ﷺ كانوا يسألون النبي ﷺ عن حكم حوادث قبل وقوعها؛ للعمل بها عند وقوعها، عن رافع بن خديج ﷺ قال: إنا نرجو -أو نخاف- العدو غدا، وليست معنا مدى، أفنذبح بالقصب؟ قال: "ما أنهر الدم، وذكر اسم الله عليه فكلوه، ليس السن والظفر، وسأحدثكم عن ذلك: أما السن فعظم، وأما الظفر فمدى الحبشة"(٥).

وقد استشرف سيدنا موسى ﷺ واقع أمة النبي محمد ﷺ فتوقع أنهم يعجزون عن أداء فريضة الصلاة حال كونها خمسين صلاة في اليوم والليلة استنادا إلى سابق تجربته مع بني إسرائيل، وطلب من النبي ﷺ أن يسأل ربه التخفيف، "... ثم فرضت علي خمسون صلاة، فأقبلت حتى جئت موسى،

---

(١) البخاري: كتاب "المزارعة"، باب "أوقاف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأرض الخراج ومزارعتهم، ومعاملتهم"، رقم "٢٣٣٤"

(٢) الأموال، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، ص ٧١، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر - بيروت.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٤.

(٤) متفق عليه: البخاري: كتاب "الفتن"، باب "كيف الأمر إذا لم تكن جماعة"، رقم "٧٠٨٤"، ومسلم: كتاب "الإمارة"، باب "الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر "، رقم "١٨٤٧".

(٥) متفق عليه: البخاري: كتاب "الشركة"، باب "قسمة الغنم"، رقم "٢٤٨٨"، ومسلم: كتاب "الأضاحي"، باب "جواز الذبح بكل ما أنهر الدم، إلا السن، والظفر، وسائر العظام"، رقم "١٩٦٨".

فقال: ما صنعت؟ قلت: فرضت علي خمسون صلاة، قال: أنا أعلم بالناس منك، عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا تطيق، فارجع إلى ربك، فسله، فرجعت، فسألته. .."[1].

المطلب الثالث

ضوابط استشراف المستقبل في الإسلام

أولاً: مصادر الاستشراف:

١- **القرآن الكريم**: فقد حدد النبي ﷺ أول مصدر يرجع إليه المسلم عند التعامل مع أحداث المستقبل، عن علي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ألا إنها ستكون فتنة". فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: "كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل...."[2].

فالقرآن الكريم يشتمل على أخبار الأمم الماضية (نبأ ما قبلكم)، بينكم فيما يقع بينكم (وحكم ما بينكم)، وفيه أخبار ما يحدث بينكم (وخبر ما بعدكم).

٢- **السنة النبوية المشرفة**: أخبر النبي ﷺ عن وقائع وأحداث مستقبلية من باب أخذ الحيطة والتدبير والاتعاظ، وخصوصا في باب أحداث آخر الزمان وما يقع فيه من فتن، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به"[3].

ففي الحديث حذر النبي ﷺ من التعرض للفتن واستشرافها، وبين طريقة التعامل معها، وعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء،

---

(١) البخاري: كتاب "بدء الخلق"، باب "ذكر الملائكة"، رقم "٣٢٠٧".

(٢) سنن الترمذي: أبواب "فضائل القرآن"، باب "ما جاء في فضل القرآن"، رقم "٢٩٠٦"، وقال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وسنن الدارمي: كتاب "فضائل القرآن"، باب "فضل من قرأ القرآن"، رقم "٣٣٧٤".

قال ابن كثير: وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي، رضي الله عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ.

ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ٢١/١، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

(٣) متفق عليه: البخاري: كتاب "المناقب"، باب "علامات النبوة في الإسلام"، رقم "٣٦٠١"، ومسلم: كتاب "الفتن وأشراط الساعة"، باب "نزول الفتن كمواقع القطر"، رقم "٢٨٨٦".

وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه"(١).

وقد أخبر النبي ﷺ بكثير من الوقائع والأحداث التي تكون قبل يوم القيامة، بما يمكن أن يكون رصيداً معرفياً عند محاولة استشراف المستقبل، وبناء الخطط لمواجهته فعن حذيفة ﷺ، قال: "قام فينا رسول الله ﷺ مقاما، ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة، إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره، كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه.."(٢).

ومثله: عن أبي زيد عمرو بن أخطب، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا(٣).

فالأخبار الواردة عن النبي ﷺ تعتبر رصيدا معرفيا هاما يلجأ إليه المتخصصون عند محاولة استشراف المستقبل.

٣- **العلماء الربانيون**: الذين أمر القرآن الكريم أن يرجع إليهم عند الحوادث والملمات، قال ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ [النساء:٨٣].

والمقصود بأولي الأمر في الآية: العلماء، قال بذلك الطبري عن قتادة ومجاهد وابن جريج وأبي العالية (٤)، والبغوي(٥)، والرازي(٦)، والقرطبي(٧)،

٤- **فراسة المؤمن**: وهي دلالة على ما يجعله الله تعالى في قلوب بعض المؤمنين من الكرامات التي يختصهم الله تعالى بها، عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله"، ثم قرأ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر:٧٥]"(٨).

---

(١) صحيح مسلم: كتاب "الإمارة"، باب "الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول"، رقم "١٨٤٤".

(٢) صحيح مسلم: كتاب "الفتن وأشراط الساعة"، باب " إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة"، رقم "٢٨٩١".

(٣) صحيح مسلم: كتاب "الفتن وأشراط الساعة"، باب " إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة"، رقم "٢٨٩٢".

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن، ٥٧٢/٨،

(٥) تفسير البغوي، ٢٥٥/٢.

(٦) مفاتيح الغيب، ١٥٣/١٠.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، ٢٩١/٥.

(٨) سنن الترمذي: أبواب "تفسير القرآن"، باب "ومن سورة الحجر"، رقم "٣١٢٧"، وقال: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٢٦٨/١٠.

٥- **وقد اختص الله تعالى** بعض عباده، كعمر بن الخطاب ﷺ، ففي الحديث عن عائشة ﷺ، عن النبي ﷺ، أنه كان يقول: "قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم" قال ابن وهب: تفسير محدثون: ملهمون(١).

ثانياً: ضوابط استشراف المستقبل:

هناك ضوابط لا بد من مراعاتها عند استشراف المستقبل على المسلم أن يراعيها، وألا يتجاوزها؛ لأنها متعلقة بدينه وعقيدته، ويمكن إجمال أهم هذه الضوابط فيما يلي:

١- **الإيمان بالغيب:** فهو أصل من أصول الإيمان عند المسلم، فلا هداية للعبد ولا فلاح له إلا بتسليم القلب والعقل لما استأثر الله تعالى بعلمه، ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[البقرة:١-٥].

وللإيمان بالغيب أثر في استشراف المستقبل ودراسته، فعندما يعتقد المسلم أن الله تعالى قد استأثر بعلم الغيب، ولم يطلع عليه أحدا من خلقه، فإنه يوقن أن كل استشرافه ودراساته وتوقعاته إنما هي ظنية، ولا يمكن أن يجزم بنتائجها، ولا أن يدعي تحقق وقوعها، ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾[الأنعام:٥٩].

٢- **أن يعلم المسلم أنه يفتقر إلى معونة الله تعالى** في استخرج النتائج واستلهام العبر والعظات، ووضع الخطط والبدائل، وأنه إذا لم يكن له حظ من التوكل على الله فلا تنفعه دراساته، ولن يستفيد من استشرافه، فلا يثق إلا بربه، ولا يعتمد على أسبابه، لكن مع بحثه وتقصيه وجهده يعلم أن الأسباب بيد الله تعالى، وأن مرد النتائج إلى علام الغيوب سبحانه.

٣- **ألا يتعارض الاستشراف** مع أصل من أصول العقيدة الإسلامية، وذلك بأن يكون المنهج ربانيا واضحا، فلا يعتمد على أمر من المحرمات، فلا يعتمد على شيء من الكهانة أو التنجيم أو إتيان العرافين، فهذا قدح في العقيدة، لأن إتيان الكهان يدور بين الحرمة والكفر، كما صح عن النبي ﷺ، عن صفية، عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: "من أتى عرافا فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة"(٢)، وعن أبي هريرة، والحسن ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "من أتى كاهنا، أو عرافا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد"(٣).

---

(١) صحيح مسلم: كتاب "الفضائل"، باب "من فضائل عمر رضي الله عنه"، رقم "٢٣٩٨".

(٢) صحيح مسلم: كتاب "السلام"، باب "تحريم الكهانة وإتيان الكهان"، رقم "٢٢٣٠".

(٣) مسند أحمد: رقم "٩٥٣٦، وأبو داود: كتاب "الطب"، باب "في الكاهن"، رقم "٣٩٠٤" بلفظ "فقد بريء"، ومستدرك الحاكم، كتاب "الإيمان، رقم "١٥"، وقال: صحيح على شرطهما جميعا ولم يخرجاه، والمعجم الأوسط للطبراني، رقم "١٤٥٣".

وهذا الضابط هو الذي يميز الاستشراف عند المسلمين عن غيرهم من الأمم الأخرى الذين لا يقيمون وزنا للعقيدة أو للضوابط الشرعية.

٤- مراعاة السنن الشرعية:

هناك قواعد وسنن شرعية على المسلم أن يراعيها ويدركها إدراكا واعيا، هذه السنن وضعها الله تعالى تسري على الأمم والأفراد جميعا، من هذه السنن:

أن التغيير إنما ينبع من الأفراد أولاً، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ﴾[الرعد:١٣].

أن شروط الاستخلاف في الأرض واضحة في كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا ﴾[النور:٥٥].

أن الفساد في الأرض مؤذن بعقوبة الله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [الروم:٤١].

أن الله عز جل قضى بسنة التدافع بين الناس، وبين الحق والباطل، وأن لعاقبة لظهور الحق وغلبته، مهما بدا أن هناك مظاهر قوة للباطل أمام الحق،﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [البقرة:٢٥١]، وقال تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾ [المجادلة:٢١]، وقال: ﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾[الصافات:١٧١-١٧٣].

أن الظلم باب لهلاك الأمم،﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴾ [الكهف:٥٩].

أن الجزاء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾[الرحمن:٦٠]، وقال: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾[الزلزلة:٧-٨]، وقال أيضا: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾[الشورى:٤٠].

أن صلاح أمر الناس في معاشهم وإصلاح دنياهم يتوقف على إصلاح دينهم، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[الأعراف:٩٦]، وقال: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[النحل:٩٧].

يقول محمد رشيد رضا: "إن إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سننا يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علما من العلوم المدونة لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال، وقد بينها العلماء بالتفصيل عملا بإرشاده، كالتوحيد

والأصول والفقه. والعلم بسنن الله – تعالى – من أهم العلوم وأنفعها، والقرآن سجل عليه في مواضع كثيرة، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها"(١).

٥- **الإيمان بالقضاء والقدر:**

الإيمان بالقضاء والقدر من أصول الإيمان، ولا يتم إيمان المرء إلا به، عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه"(٢)، قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[القمر:٤٩]، وقال: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[الأحزاب:٣٨].

ويعتقد أن مشيئة الله تعالى نافذة، وأقداره عز وجل غالبة، بيده الأمر، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[الإنسان:٣٠].

واستشراف المستقبل لا يناقض الإيمان بالقضاء والقدر؛ لأنه من باب بذل الأسباب، ومدافعة أقدار الله تعالى بأقداره أيضا، عن أبن أبي خزامة، عن أبيه، أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا؟ فقال: هي من قدر الله(٣).

فكما أن الداء من أقدار الله تعالى ويُدفع بالتداوي الذي هو من أقدار الله تعالى أيضا، فكذلك الأقدار تُدفع باستشراف المستقبل والتدبير والاستعداد والتخطيط، وكلها من أقدار الله عز وجل.

٦- **أن يكون الاستشراف مبنياً على قرائن ودلائل:**

فليس الاستشراف نوعا من الخيال أو الأوهام، وليس ضرباً من ضروب التنجيم، أو قولاً بالتشهي والهوى، بل هو نوع التوقع المبني على رؤية للواقع وتوقع للمستقبل مبني على خبرات حياتية واستقراءات واقعية.

ولذلك فإن القراءات الاستشرافية التي تعنى بدراسة عدد كبير من السنوات تبدو ضعيفة لافتقارها إلى الدليل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء:٣٦].

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، ١١٥/٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

(٢) الترمذي: أبواب "القدر"، باب "ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره"، رقم "٢١٤٤"، وقال: هذا حديث غريب، والجزء الأول من الحديث عند أحمد في مسنده، رقم "٦٩٨٥".

(٣) الترمذي: أبواب "القدر"، باب "ما جاء لا ترد الرقى ولا الدواء من قدر الله شيئا"، رقم "٢١٤٨"، وقال: هذا حديث غريب، وسنن ابن ماجة: كتاب "الطب"، باب "ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء"، رقم "٣٤٣٧"، والمعجم الكبير للطبراني رقم "٥٤٦٨".

٧- **أن يكون الاستشراف صادراً** عن أهله الذين يمكنهم قراءة الواقع، وتحليل خيارات المستقبل، ووضع أفضل التصورات والحلول، وهو بهذا يمكن اعتباره نوعاً من الاجتهاد الذي لا بد فيه مراعاة حال المجتهد، ولذلك يقول الشاطبي: "الاجتهاد المعتبر شرعا، وهو الصادر عن أهله الذين اضطلعوا بمعرفة ما يفتقر إليه الاجتهاد"(١).

ولأن الله تعالى أمر أن يُرد الأمر إلى أهله العارفين به، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[النساء:٨٣]، وقال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣].

٨- **ألا يؤدي النظر الاستشرافي المستقبلي إلى مخالفة لأمر الله تعالى،** أو إلى معارضة لرسوله ﷺ، ومن ذلك أن النبي ﷺ أهدر النظر المستقبلي الذي راعاه حاطب بن أبي بلتعة لما أفشى سر رسول الله ﷺ قبل فتح مكة، عندما قال: "يا رسول الله، لا تعجل عليّ إني كنت امرأ ملصقا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام"(٢).

فلم يعتبر النبي ﷺ ذلك التوقع والاستشراف، لكنه عفا عنه لسابق فضله في الإسلام.

٩- **القول باحتمالية الاستشراف وعدم الجزم بالنتائج:**

على الباحث ألا يجزم بنتيجة أي محاولة استشرافية للمستقبل، مهما كان لديه من الأدلة والبراهين التي تعضد رأيه وتقوى استنتاجه، فليس هناك جزم لرأي من الآراء أو توقع من التوقعات إلا ما كان ناتجاً عن وحي من الله تعالى، مع وجود ما يدل على هذا دلالة واضحة صريحة.

١٠- **مراعاة الثوابت والمتغيرات في الشريعة الإسلامية:**

لا بد للاستشراف أن يستند إلى قواعد وضوابط عامة، ولا يجوز أن يعارض الاستشراف ونتائجه ثابتاً من ثوابت الدين وأصل من أصوله، وإنما يتعلق بالمتغيرات.

الثوابت: الأحكام الصحيحة المحققة المستقرة التي لا تقبل التغيير والتبديل سواء أكانت في العقيدة أم في الأخلاق أم في الأحكام، وسواء كانت مقررة لغة أم شرعاً أم عقلاً (٣).

---

(١) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ١٣١/٥، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

(٢) متفق عليه: البخاري: كتاب "الجهاد والسير"، باب "الجاسوس"، رقم "٣٠٠٧"، ومسلم: كتاب "الفضائل"، باب "من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة"، رقم "٢٤٩٤".

(٣) الثوابت والمتغيرات في الشريعة الإسلامية، محمد مصطفى الزحيلي، بحث مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الثالث عشر "المجتمع المسلم الثوابت والمتغيرات" ص ٧، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة ذو الحجة ١٤٣٢هـ أكتوبر ٢٠١٣م.

فالثوابت تشير إلى المعلوم من الدين بالضرورة الذي لا يجوز تغييره، ويمكن أن نعبر عنها ب: القطعيات، المجمع عليه، الأصول، الأحكام المستقرة، ويكون ذلك في مقابل (المتغيرات) التي تعني: الظنيات، المختلف فيه، الفروع، الأحكام الاجتهادية.

فدراسة المستقبل واستشرافه يجب ألا تصطدم بثابت من ثوابت الدين أو أصل من أصوله القطعية المجمع عليها والتي استقرت أحكامها في الدين.

المطلب الرابع

نماذج قرآنية من استشراف المستقبل

أولاً: القرآن واستشراف الغيب المستقبل:

أمر الله تعالى الأمة بالاستعداد للمستقبل، وتقديم أعمال صالحة تعين الإنسان على مواجهة المستقبل، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ﴾ [الحشر:١٨].

وركز القرآن الكريم على أخذ العبرة من قصص الأنبياء السابقين، قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[يوسف:١١١]، وقال سبحانه: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[هود:١٢٠]، وقال عز وجل: ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الأعراف:١٧٦].

وتحدث القرآن الكريم عن أحداث مستقبلية ستواجهها الأمة، منها ما كان في زمن النبي ﷺ، ومنها ما تحقق بعد وفاته ﷺ، ومنها ما تنتظر الأمة تحقيقة في مستقبلها، ومن ذلك:

وقوله عز وجل: ﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴾ [الإسراء:٤].

ومما أخبر عنه المولى عز وجل وتنتظر الأمة تحقيقه، قوله سبحانه: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾[القمر:١]، وكذلك الإخبار عن أمور تقع يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[الأنبياء:١٠٤].

ثانياً: نماذج استشرافية في القرآن الكريم:

١. **استشراف الملائكة مستقبل** ذرية آدم عليه السلام في الإفساد في الأرض:

﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[البقرة:٣٠]

فقد استشرف الملائكة مستقبل آدم وذريته في الأرض، وتوقعوا أن يفسد فيها ويسفك الدماء، بناء على عاينوه من أحوال من سبق، قال القرطبي: "قيل: إن الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من إفساد الجن وسفكهم الدماء. وذلك لأن الأرض كان فيها الجن قبل خلق آدم فأفسدوا وسفكوا الدماء، فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة فقتلهم وألحقهم بالبحار ورءوس الجبال، فمن حينئذ دخلته العزة. فجاء قولهم: "أَتَجْعَلُ فِيهَا " على جهة الاستفهام المحض: هل هذا الخليفة على طريقة من تقدم من الجن أم لا"[1].

وقال الألوسي: "وقيل: عرفوه استنباطا عما ركز في عقولهم من عدم عصمة غيرهم المفضي إلى العلم بصدور المعصية عمن عداهم المفضي إلى التنازع والتشاجر إذ من لا يرحم نفسه لا يرحم غيره، وذلك يفضي إلى الفساد وسفك الدماء، وقيل: قياسا لأحد الثقلين على الآخر بجامع اشتراكهما في عدم العصمة"[2].

٢. **استشراف مستقبل الأولاد** بتقديم عمل صالح يحفظهم الله تعالى به:

وذلك في قول الله تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[النساء:٩].

فإذا استشرف المسلم مستقبل أولاده، وخاف عليهم الفقر والعوز من بعده، اجتهد في طاعة الله تعالى، والتزم تقواه، يغير الله تعالى حال أبنائه ويرزقهم ببركة العمل الصالح لأبيهم.

٣. **استشراف المستقبل في الصلح بين الزوجين:**

ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ [النساء:٣٥]، فهذا استشراف وتوقع لما يمكن أن يحدث بين الزوجين من خلاف، وأمر بالاستعداد لذلك قبل حدوثه.

٤. **استشراف يوسف عليه السلام المستقبل في تأويل الرؤيا:**

أشار القرآن الكريم إلى حسن استشراف المستقبل في قصة يوسف عليه السلام، عندما عبر الرؤيا للملك، يقول البيضاوي: "وهذه بشارة بشرهم بها بعد أن أول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة، وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع في السنين

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ٢٧٤/١، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م. وينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ١١٧/١،

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)

تحقيق: علي عبد الباري عطية، ٢٢٤/١، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

المخصبة في السنين المجدبة، ولعله علم ذلك بالوحي أو بأن انتهاء الجدب بالخصب، أو بأن السنة الإلهية على أن يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم"(١).

فالتخطيط الذي قام به سيدنا يوسف عليه السلام ليس من تعبير الرؤيا، وإنما هو نصيحة لهم قائمة على علمه بسنن الله تعالى في الكون بأخذ التدابير والاحتياطات لمواجهة القحط والجدب.

٥. **استشراف المسلمين المستقبل بالتمكين لهم والعذاب للمخالفين:**

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾[التوبة:٥٢].

٦. **استشراف هزيمة الروم للفرس وفرح المسلمين بذلك:**

فقد أخبر عنه القرآن الكريم أن الروم ستغلب الفرس، وسيستتبع هذا فرح المسلمين بذلك النصر، قال تعالى: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [الروم:٢-٤].

عن نيار بن مكرم الأسلمي، قال: "لما نزلت ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ ﴾

فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل كتاب، وفي ذلك قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾

فكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية، خرج أبو بكر الصديق يصيح في نواحي مكة ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ ﴾.

قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم، زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك، قال: بلى، وذلك قبل تحريم الرهان، فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبي بكر: كم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين، فسم بيننا وبينك وسطا تنتهي إليه، قال: فسموا بينهم ست سنين، قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين، لأن الله تعالى قال في بضع سنين، قال: وأسلم عند ذلك ناس كثير"(٢).

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ١٦٦/٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

(٢) سنن الترمذي: أبواب "القراءات"، باب "ومن سورة الروم"، رقم "٣١٩٤"، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

٧. **استشراف نوح عليه السلام موقف ذرية قومه في ضلالهم:**

ورد على لسان سيدنا نوح ﷺ في القرآن الكريم يدل على مشروعية استشراف المستقبل في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح:٢٦-٢٧]، فقد استشرف نوح مستقبل قومه بناء على تجربته السابقة معهم، وتوقع أن يحيدوا عن منهج الله تعالى، وأن يكون ذريتهم كافرة معاندة فدعا الله تعالى بإهلاكهم بناء على توقعه واستشرافه.

خاتمة

وفي نهاية هذا البحث الموجز يمكن اختصار أهم نتائجه في التالي:

١- أن قضية استشراف المستقبل من القضايا التي اعتنى بها القرآن الكريم، وأشار إليها كثيراً، إما تأصيلاً أو تطبيقاً.

٢- أن استشراف المستقبل لا يتناقض مع الإيمان بالغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه.

٣- أن العقيدة الإسلامية تستوعب حاجات البشر وتطلعاتهم التي منها النظر نحو المستقبل ومحاولة استشرافه.

٤- أن استشراف المستقبل بالنسبة للمسلم لا بد أن يعتمد على أصول عقدية وضوابط لا يمكن تجاوزها، وإلا يعد ضرباً من الافتراء والكذب.

ولهذا فإن هذه الدراسة توصي بما يلي:

١- العمل على إنشاء مركز أبحاث إسلامية متعددة للعناية بدراسة المستقبل واستشراف أحداثه، والتهيؤ لمواجهته والتعامل معه.

٢- العناية بالأبحاث التي تتحدث عن المستقبليات من وجهة نظر إسلامية.

المراجع

١- الأموال، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر - بيروت.

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٣- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية.

٤- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٥- تفسير المنار، محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٦- الثوابت والمتغيرات في الشريعة الإسلامية، محمد مصطفى الزحيلي، بحث مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الثالث عشر "المجتمع المسلم الثوابت والمتغيرات"، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة ذو الحجة ١٤٣٢هـ أكتوبر ٢٠١٣م.

٧- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

٨- الدراسات المستقبلية في عالم المسلمين دراسة نقدية من منظور السنن، د سيف الدين عبد الفتاح، (الأمة في قرن ٢٠٠٠-٢٠٠١ الكتاب السادس)، مكتبة الشروق الدولية.

٩- دراسة المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة، د أحمد صدقي الدجاني، مجلة المسلم المعاصر، مجلد ١٦، عدد ٦٢، يناير ١٩٩٢م.

١٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١١- الفروق "أنوار البروق في أنواء الفروق"، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت: ٦٨٤هـ)، عالم الكتب، بدون تاريخ.

١٢- لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

١٣- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان-بيروت.

١٤- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
١٥- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
١٦- موسوعة البحث العلمي، د عبد الفتاح مراد، جمهورية مصر العربية- الإسكندرية، ١٩٩٩م.